

الصفات الإلهية عند أوغسطين والمعتزلة

أ. م. د. علي فالح علي

قسم الفلسفة/ كلية الآداب/ جامعة بغداد

Divine attributes according to Augustine and the Mu'tazila

Dr. Ali Faleh Ali

Department of Philosophy, College of Arts, University of Baghdad

E-Mail: alifalih@coart.uobaghdad.edu.iq

المستخلص

يشكل اللاهوت أو علم الكلام أحد الروافد التي ترفد الدين للاستمرار في تدفقه ، في مقابل الهجمات التي لا تتفك من توجيه سهام نقدها له بين الحين والآخر ، كذلك يعد ركيزة أساسية من الركائز التي تحافظ على بقاءه وسط الأسئلة التي تثار من داخل الدين ذاته ، وقد تضمن هذا الرافد العديد من الموضوعات التي ولدت في كنفه نتيجة العوامل الخارجية والداخلية ، ومن هذه الموضوعات ولدت موضوعات فرعية عديدة أخرى ، ويعد التوحيد العمود الفقري لعلم الكلام ، لما له من أهمية ترتبط بالأساس بالاله الذي تدعو اليه الأديان ، وبطبيعة الحال لا بد من ولادة أسئلة تتعلق به ، لتظهر الى العن مشكلة الصفات الواقعة تحت عباءته ، إذ لا بد لأي دين ان يبين طبيعة هذا الاله وصفاته ، وقد تصدى لها الامر رجالات الدين ومفكره لتبيان هذا الامر المهم ، إذ لا يخلو أي دين سواء اكان سماوياً ام غير ذلك من الإجابة عن الأسئلة التي تطرح في شأنه ، ومن هذه الأديان الدين المسيحي والدين الإسلامي ، وقد آلينا في بحثنا المتواضع هذا الرجوع الى شخصية مهمة في الدين المسيحي (اوغسطين) والى جماعة مهمة ايضاً في الدين الإسلامي (المعتزلة) الكلمات المفتاحية : فلسفة ، علم الكلام ، فلسفة وسيطة ، فلسفة اسلامية ، اوغسطين

Summary

Theology, or theology, constitutes one of the sources that serve religion to sustain it against the fierce attacks related to criticism of religion from time to time. Theology is also a fundamental pillar of the foundations that preserve the survival of religion amid the questions raised from within it. This tributary includes many topics that arose within its fold as a result of external and internal factors. From these topics, many other subtopics have emerged. Therefore, monotheism is the foundation of theology, given its importance, which is primarily linked to the God to whom religions call. Naturally, questions must be raised about it, to reveal the problem of its attributes, as any religion must clarify the nature of this god and his attributes. Religious men and thinkers have tackled this issue to clarify what is ambiguous, as no religion, whether divine or otherwise, is free from answering the questions raised about it. Among these religions are Christianity and Islam. Therefore, in this brief research, I am trying to return to an important figure in the Christian religion (Augustine) and to an important group in the Islamic religion, which is the Mu'tazila group Keywords: Philosophy, Theology, Medieval Philosophy, Islamic Philosophy, Augustine.

المقدمة

يشكل اللاهوت أو علم الكلام أحد الروافد التي ترفد الدين للاستمرار في تدفقه ، في مقابل الهجمات التي لا تتفك من توجيه سهام نقدها له بين الحين والآخر ، كذلك يعد ركيزة أساسية من الركائز التي تحافظ على بقاءه وسط الأسئلة التي تثار من داخل الدين ذاته ، وقد تضمن هذا الرافد العديد من الموضوعات التي ولدت في كنفه نتيجة العوامل الخارجية والداخلية ، ومن هذه الموضوعات ولدت موضوعات فرعية عديدة أخرى ، ويعد التوحيد العمود الفقري لعلم الكلام ، لما له من أهمية ترتبط بالأساس بالاله الذي تدعو اليه الأديان ، وبطبيعة الحال لا بد من ولادة أسئلة تتعلق به ، لتظهر الى العن مشكلة الصفات الواقعة تحت عباءته ، إذ لا بد لأي دين ان يبين طبيعة هذا الاله وصفاته ، وقد تصدى لها الامر رجالات الدين ومفكره لتبيان هذا الامر المهم ، إذ لا يخلو أي دين سواء اكان سماوياً ام غير ذلك من الإجابة عن الأسئلة التي تطرح في شأنه

، ومن هذه الأديان الدين المسيحي والدين الإسلامي ، وقد آلينا في بحثنا المتواضع هذا الرجوع الى شخصية مهمة في الدين المسيحي (اوغسطين) والى جماعة مهمة ايضاً في الدين الإسلامي (المعتزلة) أما سبب اختيارنا لهذين هو ما يمكن ان نراه تلاقياً في الأفكار المتعلقة بصفات الله ، على الرغم من المدة التي تفصل بينهما ، ولا نريد هنا الإشارة الى احتمال تأثر اللاحقين بالسابقين في النظريات الكلامية ، كما ذهب الى ذلك خصوم المعتزلة الذي رأوا ان تسرب الفلسفة الى الجسد الإسلامي ، أدى الى تلفف جماعة المعتزلة لتلك النظريات الوافدة لما يوافق آرائهم الكلامية ، الا ان المطلع على تلك النظريات المعتزلية يراها بعيدة عن المرامي التي كان الأوائل يرومون اليها في بحثنا هذا تناولنا ما طرحه اوغسطين في موضوع الاله من صفات وإمكانية رؤيته ومشكلة الخلق وقدم العالم وغيرها من الموضوعات المتفرعة وهو ما تناولته كذلك جماعة المعتزلة ، ولا بد من الإشارة الى ان اوغسطين لم يتناول موضوع الصفات بوصفه حقلاً مستقلاً عن باقي الموضوعات اللاهوتية الأخرى ، على عكس ما فعله المعتزلة من تخصيص ابواباً مستقلة تناولوا فيها موضوع الصفات والذي يندرج بدوره تحت أصل التوحيد ، فأوغسطين تناول موضوع الصفات في ثنايا مؤلفاته التي تتحدث عن تجربته الشخصية للإيمان وكذلك في معرض تصويره للمدينة المثالية التي هي مدينة الله ، لكننا استطعنا الوقوف عليها من خلال السرديات الكلامية التي طرحها اوغسطين في أروقة تلك المؤلفات . أملين ان ينال بحثنا هذا قبول القارئ الكريم ، ومن الله التوفيق

المطلب الأول: مشكلة الصفات

تعد مشكلة الصفات من اهم المسائل التي شغلت منظومة الفكر اللاهوتي ، سواء أكان ذلك بين الأديان المختلفة ، أو بين المذاهب الكلامية التي احتواها الدين الواحد ، وقبل ان نستعرض الآراء التي طرحها كل من القديس اوغسطين* وفرقة المعتزلة** في هذا الشأن ، لا بد لنا من توضيح أصل هذا الموضوع ، فعلم اللاهوت ، المسيحي ، كان جُل همه في بداية دعوته هو فهم التعاليم التي جاء بها المسيح ((فالعقائد الاصلية الأولى قد اتت بها المسيحية وطالبت باعتقادها ، وعلى العقل من بعد ان يعرف هذه العقائد الايمانية)) (بدوي ، ١٩٧٩ ، ٣) فعلم اللاهوت كان في أول الامر ((شرح أصول الايمان المسيحي)) (صبحي ، ١٩٨٥ ، ٣٩) وكذلك الامر بالنسبة للجانب الإسلامي ، فعلم الكلام ، بمعناه العام ، وكما يعرفه الفارابي بأنه ((صناعة الكلام يقتدر بها الانسان على نصره الآراء والافعال المحموده التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالاقاويل)) (الفارابي ، ١٩٤٩ ، ١٠٧) لذا لم يتصدى اللاهوت لموضوع الصفات في نشأته الأولى سواء كان ذلك على الصعيد المسيحي أو الصعيد الإسلامي ، اذ كانت معظم الموضوعات التي تُطرح تتمحور في معظمها عن دفاعات يتسلح بها رجال الدين ، في صورته الفكرية ، مقابل الهجمات التي تعرض لها الدين من الخارج ، اذ ان اهداف علم الكلام كانت في الأساس الدفاع ، عقلياً ، عن العقيدة المتبناة من قبل هؤلاء المفكرين إزاء الأعداء الخارجيين الذين وجهوا سهام نقدهم للعقيدة* . لكن العلم - اللاهوت - ، وبتطوره التاريخي ، أصبح من المحتم عليه الإجابة على التساؤلات التي تطرح حتى في داخل الجسد الديني ذاته ، ومن هذه التساؤلات هي الصفات الإلهية ، فالمعبود ، امسى الحقل الخصب للدراسات اللاهوتية مُزجاً بذلك تلك الدراسات التي تدور حول التعاليم التي جاء بها الرسل ، او على الأقل أصبحت لتلك الدراسات حقلاً مستقلاً يختلف عن علم الكلام بات يُعرف بعلم الفقه فمما هو معروف ان المسلمين الأوائل لم يكونوا منشغلين بالحديث عن الصفات بقدر الحديث عن التعاليم المتعلقة بالمعاملات والعبادات التي ينبغي على المسلم اتباعها والتي جاء بها صاحب الملة ، اما ما يتعلق بالرب فهو واحد لا شريك له ، ولا يزيدون اكثر من ذلك كطبيعة الصفات التي يتصف بها هذا الاله ، صحيح ان القرآن الكريم قد ورد فيه الكثير من الصفات التي يتصف بها الرب كالسميع ، البصير ، الحي ، القيوم وغيرها الكثير من الأسماء ، الا ان الجدل حول طبيعة هذه الأسماء والحديث المتعلقة بها ، لم تكن حاضرة في التفكير ابان الصدر الأول للإسلام ، ان لم تكن محظورة بالأساس . وذات الشيء نراه على الصعيد المسيحي ، إذ لم تكن السجلات حول طبيعة الاله وصفاته واضحة المعالم في السنوات الأولى للديانة النصرانية ، ذلك ان الدعوة والتبشير للدين الجديد أهم ما يميز تلك المرحلة من مراحل المسيحية ، متجنباً الخوض في غمار المناكفات المتشعبة عن الطبيعة الإلهية ، فالمطلع على العهد الجديد - الانجيل - من الكتاب المقدس لا يجد في أغلب مجرياته حديثاً يدور بين السيد المسيح وحوارييه وأتباعه عن تلك التساؤلات التي تدور حول صفات الاله ، وان بدت في بعض نواحي الكتاب المقدس ، فانها بدت بصورة عامة لا تخوض في المعاني والمرامي العميقة التي اضطلع اللاهوتيون من بعد الخوض فيها وكما اسلفنا ، ان السجلات الكلامية بدأت تتضح حالما استقر الدين واكتملت معالمه ، وكذلك باختلاط وتمازج الثقافات المتعددة ، فمن جهة كان على رجال الدين الأوائل الإجابة على التساؤلات المتعلقة بطبيعة الاله المعبود وصفاته ، لذا نرى ان علم الكلام أو اللاهوت لم يظهر الى العلن في البدايات الأولى للدين بل بمرور فترة ليست بالقصيرة عليه ، وفي ذلك يقول الاشعري ((فرأوا - المسلمون الأوائل - النبي صلى الله عليه وسلم يصف لهم ربه سبحانه بما وصف به نفسه في كتابه الكريم ، وبما أجراه على لسانه من سنته ، فلم يسأله احد منهم ، على اختلاف عقولهم ، عن شيء من ذلك)) (الاشعري ، ١٩٩٠ ، ٨) وكذلك ما أشار له ابو حامد الغزالي بقوله ((ان جميع ما هو خاصة هذه

الصناعة - علم الكلام - لم يكن يُعرف منها شي في العصر الأول ، بل كان يشند منهم النكير على من كان يفتح باباً من الجدل)) (الغزالي ، ب ت ، ٣٣) فمما يروى من ان الصحابي (مالك بن أنس) عندما سأله بعض المسلمين عن الاخبار التي جاءت في الصفات ، أجاب ((أمروها كما جاءت بلا كيف)) (ينظر ، أبو ريان ، ١٩٧٣ ، ١٣٧) هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نرى ان المنتمين للدين الجديد ظهرت لديهم بوادر السجال نتيجة الاختلاف الظاهري للنصوص المقدسة ذاتها ، والفكر لا يستقر بطبيعته عند حدود النص ، فبدأت تظهر الى العلن تلك المباحكات التي تطورت بفعل التجاذبات والاراء المتخالفة ومن هذه المباحكات هو موضوع الصفات المنضوي بدوره تحت عباءة التوحيد ضمن الأصول الايمانية للفرق الكلامية على عمومها ، فقد وردت العديد من التعاليم التي جاءت من أكابر أصحاب المذاهب الإسلامية لتؤكد على ضرورة تعلم هذا العلم (التوحيد) باعتباره ضرورة فكرية ملحة في مقابل الشكوك والطعون التي ترد من المخالفين ، فقد ((اعتنى العلماء بهذا العلم - التوحيد - تدريساً وتحفيظاً وتفهيماً حتى قال الامام الشافعي رضي الله عنه (احكمنا هذا قبل ذلك) أي اتقنا علم التوحيد قبل فروع الفقه ، وقال الامام أبو حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأوسط (اعلم ان الفقه في الدين افضل من الفقه في الاحكام .)) (الفقيه ، ٢٠٠٩ ، ١١٣) لقد واجه المعتزلة بالدرجة الأساس في خطاباتهم الكلامية الفرق الإسلامية الأخرى ، لذلك جاءت ردودهم لتبيان موقف من موضوع كلامي معين ، وما موقف (واصل بن عطاء) ومن بعده (عمرو بن عبيد) الا واحداً من هذه المواقف التي طُرحت على الساحة الإسلامية* ، والحال ذاته بالنسبة لباقي الاعتقادات التي تبناها المعتزلة في أول الامر ، الى ان استقر المذهب ، فراح يؤصل لباقي النظريات الكلامية التي عُرفت باسمهم ، والذي يمثله كل من (أبو الهذيل العلاف) و (إبراهيم بن سيّار النظام) وباقي رجالات المعتزلة من مدرستي بغداد والبصرة وباقي الامصار الإسلامية وعلى الجانب الاخر نرى ان الأصولية المسيحية قد بدأت تطفو على سطحها هذه التجاذبات الفكرية نتيجة التوسع الكبير الذي حصل بفضل حملات التبشير التي تزعمها في اول الامر كل من القديس بطرس والقديس بولس المعروف برسائله التي وجهها للبلدان الواقعة على الضفة الشمالية للبحر المتوسط لا سيما مدينة روما والتي ستغدو ، فيما بعد ، المعقل الرئيسي والعاصمة المقدسة لأتباع الدين المسيحي . فبولس ، أو بولص ، هذا لم يكن من الجيل الأول للنصرانية بل كان من أشد المناوئين لها في بداية دعوتها ، الى أن تاب وتخصّر بعد (عملية الصلب) بمدة قليلة (ينظر الزبيدي ، ٢٠١٣ ، ٢٠٥) ، مما يؤكد على ان الموضوعات اللاهوتية لم تكن مطروحة على الساحة في الفترة الأولى لها ، بل كانت ردوداً صدرت من القديس بولس على الأسئلة التي كانت ترد من تلك البلدان المنتصرة حديثاً ، والراوحة تحت الحكم الروماني الوثني ، ففي معرض اجابته على احدى الرسائل الواردة من تلك النخوم ، الحديثة العهد بالنصرانية ، يقول ((انما هي الحكمة ، نبشّر بها الكاملين ، حكمة لم تكن من هذا العصر ، ولا من رؤساء هذا العصر الذين مصيرهم في العدم ، اننا لنبشّر بالحكمة الإلهية السرية والمحجوبة)) (هارت ، ٢٠١١ ، ٥١) لتترى بعد ذلك الإجابات المختلفة من قبل رجال الدين ولتختلف تلك الاجابات تبعاً للرؤية الاجتهادية المتبناة من رجل الدين هذا او ذاك ، حتى جاء القديس اوغسطين لينبري بالتصدي لل (هرطقات) التي عصفت بالساحة المسيحية في القرون الأولى للمسيحية ، لا سيما آراء (القديس آريوس) ، والتي أحدثت شرخاً عميقاً في صميم العقيدة ، حتى بات يُعرف في الأوساط المسيحية ب(هرطقة آريوس)* وغيرها من الحركات التي لم تتوافق اراؤها مع آراء الكنيسة الرسمية لا سيما آراء القديس نسطوريوس والذي عُرف اتباعه من بعد ب(النساطرة). والصفات ، في علم الكلام ، ليست كل صفة تطلق على الله سبحانه سواء اكانت واردة في النصوص المقدسة أو ما أطلقه اللاهوتيون عليه ، دون تفسيرها وتأويلها ، فالصفات غير مختلف عليها بين سائر اللاهوتيين وحتى بين المؤمنون البسطاء ، بل الاختلاف ناشئ عن فهم هذه الصفات وتأويلها حسب المذهب الكلامي الذي ينتمي اليه هذا اللاهوتي أو ذاك ، وبعبارة أخرى نقول انه لا يختلف اثنان على ان الله ليس بسميع أو ليس ببصير ، ولا يختلف اثنان على ان الله ليس بقادر أو ليس عليم ، ولكن الاختلاف ظهر بالكيفية التي يكون الله بها سميع وبصير وكذلك كونه قادر وعليم وعلاقة هذه الصفات بالذات الالهية ، اذ تعد هذه المشكلة من أولى المشكلات التي ظهرت في الإسلام ، والتي على أساسها نشأ علم الكلام فضلاً عن المشكلة المتعلقة بفاعل الكبيرة والتي فتحت الباب لعلم الكلام بالظهور الرسمي على الساحة الإسلامية يقسم علماء الكلام الصفات الالهية الى قسمين رئيسيين هما الصفات الذاتية أو صفات الذات وصفات الفعل . ويقصد بصفات الذات الصفات التي تتعلق بذات الله سبحانه كالقدرة والعلم والإرادة والحياة ، بينما يقصد بصفات الفعل هي التي يتصف بها سبحانه وتعالى بما يصدر منه من أفعال كالخلق والرزق . والاختلاف الرئيسي المتعلق بهذه الصفات نشأ من كون هل هذه الصفات هي عين الذات ام زائدة عليها ، وقد يبدو التساؤل بسيطاً نوعاً ما اذا ما تمت الإجابة عليه ظاهرياً ، الا انه يحمل في طياته خطورة بالغة تتعلق بصلب العقيدة الايمانية ، سواء أكانت الإجابة بالسلب أم بالإيجاب ، هذا وسنتناول ما طرحه المعتزلة في هذا الشأن في معرض حديثنا عنهم في الصفحات اللاحقة . أما على الصعيد المسيحي فلم يكن الامر بهذه الخطورة كما هو حال الفرق الإسلامية ، أو بعبارة أخرى ، ان موضوع الصفات لم تكن محوراً رئيسياً بقدر ما كانت الطبيعة اليسوعية هي الشغل

الشغل لتلك المذاهب لا سيما بين المذهبيين الرئيسيين (الملكانية - الكاثوليك - والاورثوذكس) (فممكن رد جميع تلك المساجلات اما الى مسألة الثالوث وصلة الاقانيم فيما بينها ، واما الى مسألة طبيعة المسيح)) (برهيه ، ١٩٨٨ ، ٩) لكن هذا لم يمنع صاحبنا ، القديس اوغسطين ، من الادلاء بدلو في موضوع الصفات المتعلقة بالله ، كما سنلاحظ ذلك بعد قليل .

المطلب الثاني : القديس أوغسطين والصفات الإلهية

يمثل القديس اوغسطين ، من الناحية الفلسفية ، حلقة الوصل الرابطة ما بين المرحلة التي سبقته والمتمثلة بالفلسفة اليونانية ، بشقيها الأصلي والمتأخر ، وبين الفلسفة الوسيطة بفرعيها الواقعي والاسمي* ، فهو يعد الرابطة الحقيقية التي ترجمت الأفكار اليونانية ليضعها في قالبها المسيحي ، وهو من أشهر آباء الكنيسة الذين عبدوا الطريق للفلاسفة المسيحيين الذين جاءوا من بعده ، وعلى الرغم من كونه رجل دين اتخذ موقفاً مناهضاً للفلسفات (الوثنية) الا ان الأفكار اليونانية تركت بصمة واضحة في طروحاته ، لا سيما تلك المتمثلة بأفلاطون وافلوطين ، لما لهما من انسجام مع مذهبه الديني القائم على الايمان قبل التعقل ، فهو وعلى حد تعبير عبد الرحمن بدوي ((يمكن ان يعد ممثلاً لنوع جديد من الافلاطونية يمكن ان يسمى الافلاطونية الاوغسطينية)) (بدوي ، ١٩٧٩ ، ٢١) اما من الناحية اللاهوتية ، فيعد اوغسطين من أهم الشخصيات الواضحة لأبجديات اللاهوت المسيحي والذي سار على هديه رجال الكنيسة ومفكري الفترة الوسيطة من بعده ، وحتى لا يلتبس على القارئ الكريم ، ننوه الى ان ما سنورده في معرض حديثنا عن اوغسطين هو انه لا يتكلم عن الصفات الإلهية الخاصة بالسيد المسيح ، أو (الابن) بل بالاقنوم الأول** أي الله - أو الأب - كما يعرف بالديانة المسيحية ، ذلك ان الاقنوم الأول في البواكير الأولى للمسيحية لم يتجسد ، كما هو الحال في القرون التي تلت تلك البدايات ، يقول اوغسطين في مطلع كتاب (الاعترافات) مناجياً ربه بقوله ((اللهم اني أدعوك بايماني الذي وهبته لي ، وواحاه الي ابنك في ناسوته)) (اوغسطين ، ١٩٩١ ، ٨) ليضع بذلك فاصلاً معرفياً بين الملكوت الأعلى ، والناسوت الأرضي المتجسد بشخص السيد المسيح ، ولا يعني ذلك ان اوغسطين كان ينحو منحى مغاير عن العقيدة الرسمية للكنيسة ، بقدر ما كانت الثقافة العامة للمسيحية تذهب الى ان الاله الأعلى مجرداً عن الشخصية المرئية والمتتبع لسيرورة هذه الفكرة ، أي تشخص الرب في صورة البشر ، يجد سببين رئيسيين لهذه الفكرة أولهما ان للفنون الاوربية دور كبير في تغيير المسار الفكري والتصورات العقلية للعالم المغارق ، ويرجع الامر بصورة كبيرة الى فناني عصر النهضة الذين استطاعوا اخضاع المعايير الفنية الاغريقية والرومانية ، المتمثلة بنحت وتصوير الشخصيات الشهيرة ، وصهرها بحبكة مع اللاهوت المسيحي ، فما هو مشهور هو ان عصر النهضة عمل جاهداً في مناهضة القيم القروسطية وبعث الروح الاغريقية في جميع مفاصل الحياة ، وهذا ما نراه جلياً في اللوحة الشهيرة التي تعلقو قبة الفاتيكان - من الداخل - التي رسمها الفنان الشهير (مايكل انجلو) والمسماة بخلق آدم ، والتي تصور - الله - على هيئة شخص مسن ، يهب الحياة لآدم ، بينما نرى اوغسطين ، من قبل ، يبتهل الى الله بجملة من العبارات ، يغلب عليها الطابع التجريدي على الطابع التشخيصي، ففي كتاب (مدينة الله) يصف اوغسطين الله بقوله ((هو الحاضر في كل مكان ، غير مرتبط بمكان ، الحر من كل قيد ، غير المنظور ، الثابت غير المتغير ، المالى للسماء والأرض ، لا بكيانه اللامحدود بل بحضوره الكلي القدرة)) (اوغسطين ، ٢٠٠٦ ، ٣٥٥-٣٥٦ أما ثاني الأسباب فهي النصوص التوراتية التي يشكك الكثير في صحتها والتي تصور الله على هيئة البشر ، يحكم مملكته من وراء الحُجب ، ويتراءى للخلص من عباده ، وأوغسطين وبما انه من المؤمنين الخاضعين لما ورد من نصوص تشير الى ذلك في الكتاب المقدس ، استطاع ان يُخَرِّج تلك النصوص ويوائمها مع معتقده الذي يُنكر احتمالية الرؤيا ، ففي حادثة الرؤيا التي حصلت مع ثلة المؤمنين اليهود الذين شاهدوا _ الله _ في سيناء ، يرى بان الشخص المُشاهد هو ليس الله ، بل احدى تجلياته التي كانت ضرورة لايمان هؤلاء ، وفي ذلك يقول ((والصورة التي ظهر فيها الله غير المنظور بطبيعته ، هي غير الله ٠٠٠ ولا يجهل بطاركة العهد القديم ان الله غير المنظور كشف ذاته لآعينهم تحت ذلك المظهر الجسدي الذي ليس هو)) (اوغسطين ، ٢٠٠٦ ، ٤٧٩) وجدير بالذكر ان هذه الرويات قد تَسَرَّبَت ايضاً الى جسد المنظومة الإسلامية ، بفعل رجال اليهود الذين أسلموا في الصدر الأول من الإسلام والقرون الأولى التي تلتها ، من الذين استطاعوا ادخال الكثير من الروايات التي تقترب من هذه الفكرة ، وباتت فيما بعد تُعرف بالاسرائيليات . يبتدأ القديس اوغسطين في كتابه الأشهر (الاعترافات) بتساؤل يوجهه الى الله بقوله ((من انت ؟ اسألك من أنت ؟)) (اوغسطين ، ١٩٩١ ، ٩)) ليشرح بعد ذلك بالاجابة على تساؤله ، في جملة طويلة من العبارات التي تفصح عن مذهبه اللاهوتي ، والتي تتضمن في هذه العبارات ، الصفات التي يتصف بها الله عنده ، والمتتبع لجميع ما كتبه أوغسطين من مؤلفات ، يجد انه لم يخصص باباً افرده لهذا الامر ، لكنه بالإمكان الوقوف على موضوع الصفات من خلال النصوص المنتشرة في ثنايا تلك المؤلفات ، والتي جاءت على شكل نصوص منصهرة بين عنوانات ما تضمنته هذه الكتب والغالب على تلك الصفات ، كما يقدمها اوغسطين انها قريبة الى السلب اكثر من كونها إيجابية ، وتكون كذلك من كونها صفات قائمة على المقارنة بين الله والانسان ، فجاءت أحياناً كثيرة على شكل

سلوب ، تُسلب من الله لانها قائمة في الانسان، اذ يقول ((وما تصورتك يا الله في شكل انسان مذ اشرق علي نور الحكمة)) (اوغسطين ، ١٩٩١ ، ١٢١) وفي مؤلفه الآخر (مدينة الله) يشير اوغسطين الى ذلك ، حيث يقول ((انه لمجهود عظيم ان يرتفع الانسان ، بقوة عقله فوق جميع المخلوقات التي يُظهر التأمل فيها انها قابلة للتغيير ، ومن خلال ذلك التأمل يُدرك أن جوهر الله ثابت لا يتغير)) (اوغسطين ، ٢٠٠٧ ، ٦) فالتأمل لصفات المخلوقين ، المتغيرة ، يجد صعوبة بالغة في تأمل الصفات المتعلقة بموجد هذه المخلوقات ، لذلك يرى ((ان الله لا يمكن ان يوصف ، لانه فوق الوصف والكلام وكل تشبيه بين الله والانسان فانه يعد تشبيهاً باطلاً)) (بدوي ، ١٩٧٩ ، ٢٧) ونظراً لأهمية الموضوع من ناحية ايمان البسطاء من الناس الذين يتوقون الى معرفة الخالق وصفاته ، يُشرع اوغسطين في الخوض بموضوع صفات الله ، فيصفه مخاطباً (أيها الرفيع ، الكريم ، القدير ، الجبار ، الرحيم ، العادل ، الخفي ، الحاضر ، الجميل ، القوي ، الفائق الادراك ، يا من لا يتغير ويغير كل شيء ، يا من لا يتجدد ولا يشيخ ، يا من هو ابدأً جديد)) (اوغسطين ، ١٩٩١ ، ٩) فالله كما يراه القديس ، لا تجري عليه الا زمان ولا يتأثر بها ، وكيف يكون كذلك وهو خالقها ، فعبرة (يا من هو ابدأً جديد) تقصح جلياً عن تلك المرامي ، وبذلك يكون الله من جهة أخرى ذاتاً أزلية مفصولاً بطبيعتها عن كل شيء ، وفي ذلك يقول ((يا من لا يتغير بتغير الأحوال بل يثبت دوماً وأبداً)) (اوغسطين ، ١٩٩١ ، ١٢١) .

وبما ان الله قد اتصف بهذا ، فالصفات المذكورة أعلاه ، تُعد كذلك ، لانها صفاته لا صفات غيره ، بل يذهب أوغسطين الى ابعد من ذلك حيث يعتبر اوغسطين ان الإرادة والقدرة ، والتي هي أهم صفتين لله ، لا يختلفان عن الله من الجهة الانطولوجية فيقول ((والإرادة والقدرة في الله هما الله بالذات)) (اوغسطين ، ١٩٩١ ، ١٢٥) وهذا ما يحيلنا الى موضوع الذات التي ظهرت مشكلتها على الساحة الإسلامية بعد ذلك بقرون طويلة ، واقصد بذلك مشكلة الصفات ، هل هي عين الذات أم زائدة عليها ؟ وبالعودة الى ما أورده أوغسطين في موضوع تمايز الأشياء عن الخالق ، يرى اوغسطين ان الله يعلم سابقاً ما سيخلقه لتتبري مشكلة أخرى تلقفها فلاسفة الإسلام لتكوّن لهم معضلة يصعب حلها وهي (وجود العدم) أو (العدم الموجود) كما يسميها أوغسطين وهنا يتوجب علينا الوقوف ، لما لهذا الامر من أهمية كبرى في الفلسفة والفلسفة الإسلامية بالخصوص ، فاذا كان هذا الامر قد مرّ بشيءٍ قليل الحساسية عند المسيحية عندما رأى اوغسطين من ((ان الهي ، الله الأزلي ، قد خلق العالم بفعل إرادة قديمة وان علمه لا يقبل شيئاً مما قد ينقضي)) (أوغسطين ، ١٩٩١ ، ٢٧٥) * فقد مثل مشكلة كبرى في الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام على السواء ، والامر هو موضوع الخلق ، هل كان من الازل ام في زمان سبقه العدم ، لتطغى بعد ذلك مشكلة العدم ومفهومه ، ذلك انه لو كان الخلق ازلياً لتشارك مع الله في القدم وسيتعدد ، وفقاً لذلك ، القدماء ، أما اذا كان في زمان معين فماذا نسمي الزمان الذي سبقه ، وما دمنا نتحدث في هذا الشأن فلا مناص الا بذكر الكتاب الأشهر الذي من خلاله بين الامام الغزالي تهافت من قال بأزليته وأقصد بذلك كتاب (تهافت الفلاسفة) والتي كانت هذه القضية ، ثلاثة ثلاثة القضايا التي كفر بها الغزالي من قال بذلك** ، وبما ان موضوع بحثنا هذا يتطرق لفرقة المعتزلة فلا بد لنا من ذكر ما أورده بهذا الشأن ، فللمعتزلة أبحاث طويلة عالجت هذا الامر من منظور لاهوتي ، فلسفي ، لا يخلو من أصالة في تاريخ الفكر الإسلامي ، سنتناولها في معرض حديثنا عن هذه الفرقة لاحقاً والإرادة الإلهية لا تعني انه قد طرأ عليها التحول والتغير بمجرد أنه قد أراد ان يخلق الأشياء ، وإلا لكان هنالك مرجح دعاه الى اتخاذ هكذا قرار ، وبالتالي سيكون الله متأثراً لا مؤثراً ، بل ان الامر ، كما يراه اوغسطين هو ان الثبات والكينونة الإلهية قادرة على ذلك بمجرد الإرادة ذاتها ، لا لشيءٍ آخر ، وفي ذلك يقول مخاطباً الله ((ان ارادتك المماثلة لك في كل شيء ، قد خلقت كل شيء ، دون أن يطرأ عليها أي تغيير أو يحدث فيها أي قرار جديد)) (اوغسطين ، ١٩٩١ ، ٢٨٩) ((فالله يعلم أولاً ذاته من ذاته ويعلم كذلك الأشياء من ذاته لا من الأشياء نفسها ، لانه مُنشؤها وموجدها ويضمن وجودها ، فالله يعلم الأشياء قبل حدوثها واثناء حدوثها وبعد خروجها من الوجود الى العدم بعلم واحد)) (بدوي ، ١٩٨٤ ، ٢٧) أما الغاية والهدف من ذلك فهو ان الله أراد التمجيد من قبل مخلوقاته التي سبقت الخلق الزماني ، ذلك ((ان الله عليم بخلقه قبل الخلق ، وهو المثل الأعلى لخليقته التي سواها كانعكاس خارجي ومحدود ليتمجد جوهره الإلهي)) (كوبلستون ، ٢٠١٠ ، ١٠٢) ، وقريب من هذا التصور ، فقد سرت في أروقة الثقافة الدينية الإسلامية احاديث قُسية مفادها ، ان الله كان كنزاً مخفياً فأحب ان يطلع عليه الخلق فخلقهم وبالعودة على الطرح الاوغسطيني فانه يشير وبوضوح الى صعوبة ، بل واستحالة ، أن يكون الله مرئياً متاحاً للمشاهدة ، ففي إحدى تساؤلاته عن كيفية الوصول الى الله ، أو عن المكان الذي يحويه ، يُجيب على ذلك بقوله ((لم أجدك لانك لست صورة جسدية ولا عاطفة كائن حي كالفرح والحزن والرغبة والخوف والذكريات والنسيان الخ ...)) (اوغسطين ، ١٩٩١ ، ٢١٧) ومن هنا نرى ان اوغسطين كان يذهب الى استحالة الرؤية ، لا لكون الله مخفياً لم يشأ ان يراه الخلق ، بل كونه منزهاً عن المادة وعن الصورة وعن أي شيء يوحي بإمكان الرؤية .

لم تترك فرقة كلامية اثنياً فكرياً في تاريخ الفكر الإسلامي ، اكثر مما تركته هذه الفرقة المغمورة والتمردة على كثير من القوالب والهياكل الجاهزة التي احتوتها الثقافة الإسلامية سواء اكانت دينية او فلسفية او حتى علمية ، ولكن علم الكلام تصدّر هذه المجالات كونه الأساس الذي قامت عليه ، والسبب الرئيس لولادة هذا المجال في الإسلام . تلك الولادة التي حصلت في احدى أسطوانات مسجد البصرة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري وكيف لا يكون لجماعة رفعت شعار (العقل) شأن كبير في التاريخ الفكر الإسلامي ، فهي لا تقل أهمية عن النقطة المفصلية التي من خلالها فتحت الفلسفة الحديثة - بفرعها العقلي والتجريبي - أبوابها ، معلنة الثورة على نظم الفلسفة الوسيطة ، فكلا التجريبتين - الاعتزالية والحدائوية - مع اختلاف فضاءاتها وموضوعاتها ، حملت لواء العقل في مقابل النصوص والرؤى السابطة والراكنة للمسارات المرسومة والممانعة لأي جهداً عقلياً يخالف اطارها العام تقوم العقيدة المعتزلية بالأساس على الأصول الخمسة التي باتت اصولاً لباقي الفرق الكلامية الأخرى ، الا ان الاختلاف قائم على تفسير هذه الأصول ، والتي لا مجال لنذكرها في هذا البحث ، الا ان الذي يهمنا هو الأصل الأول - أي التوحيد - لما يتضمنه بالدرجة الأساس موضوع الصفات الإلهية * . وعلى الرغم كون الأصل الثالث - المنزلة بين المنزلتين - هو البداية الحقيقية لظهورهم على الساحة الفكرية في الإسلام ، الا ان التوحيد - الحاوي للصفات - قد تصدّر ، فيما بعد ، المشهد لديهم وشكل الجبهة الرئيسية لدفاعاتهم الكلامية في مقابل الفرق الكلامية الأخرى ، وهنا لا بد من الإشارة الى ان هذا الأصل لم يكن من ابداعاتهم ، كما هو حال الأصل الثالث ، ذلك انه وردت العديد من النصوص قبلهم تذهب الى ما ذهبوا اليه في موضوع الصفات وذلك ما نجد جلياً في خطبة (التوحيد) للامام علي بن ابي طالب ، سيما ان اعلام المعتزلة المتأخرين يُردون علومهم اليه * ، الا ان تخريجاتهم العقلية وصياغاتهم المعرفية لهذا الأصل ، جعلتهم في مقدمة الفرق التي توسمت به ، حتى عُرفوا لاحقاً بانهم أهل العدل والتوحيد . ان التأويل هو عماد الفكر المعتزلي ، اذ ارتكزت معظم طروحاتهم الكلامية على ما يتوافق مع العقل في فهم النصوص المقدسة ، وبذلك عُرضت جميع النصوص القرآنية لهذا المنهج ، لا سيما تلك التي لا تتوافق مع مذهبهم وبالخصوص موضوع الصفات ، فقد ((تمسك المعتزلة بالقول بأن العقل قادر على فهم النصوص القرآنية ، واستبطن مرامي الوحي ، ولهذا رأوا وجوب تأويل الآيات المتشابهة ، واقامة الايمان على أسس عقلية واضحة)) (أبو ريان ، ١٩٧٣ ، ١٥١) وهذا ما يذكرنا باوغسطين عندما أراد تبرير رؤية الله من قبل مؤمني اليهود يذهب المعتزلة الى ((ان الله واحد لا شريك له من أي جهة كان ولا كثرة في ذاته البتة ، وهو خالق الجسم وليس بجسم ، ومحدث الأشياء وليس كالأشياء ، وانه منزّه عن المخلوق ولا يرى بالابصار ، لا في الدنيا ولا في الآخرة)) (الخياط ، ١٩٢٥ ، ٥٠) فنفي الرؤية اهم قواعد التوحيد والصفات التي يتصف بها الله ، وقد اقام المعتزلة الحجج والحجج لاثبات هذا الرأي ، ونكتفي بايراد حجتين مشهورتين تنبأها المعتزلة في هذا الصدد . الأولى ان الرؤية - لو حصلت - فيعني انه قد تم الاتصال المرئي او الشعاع بين المرئي والرأي وبذلك يستمكن المرئي من المكان الذي يشغله تاركاً بذلك الأمكنة الأخرى للخواء الغير منشغل ، ليحصل بذلك الوجود المادي له ، وهذا يقوض المبدأ الذي يقوم عليه التوحيد . اما الحجة الثانية فمفادها ان الرؤية ، لو تحققت ، لتمكن الرائي من رؤية والإرادة والقوة والعلم وباقي الصفات الإلهية ، كونها عين الذات وليست زائدة عليها ، وهذا محال عقلاً وحساً (ينظر ، الراوي ١٩٨٦ ، ٢٥٤-٢٥٥ وكما تأول اوغسطين ، كما مرّ بنا سابقاً ، الرؤية التي حصلت لمؤمني بني إسرائيل ، يذهب العلاف ، وهو من آباء المعتزلة الأوائل ، الى نفي حتى الجهة التي يتكلم بها الله لموسى عندما نودي من جانب الشجرة ، اذ يرى ((ان مكالمة الله لاحد انبيائه ، ليست صادرة مباشرة من الله ، فكلام الله لموسى ، المنادي هو الله ولكن النداء صادر من تجاه الشجرة ، لان الله لا يتحدد بجهة)) (صبحي ، ١٩٨٥ ، ١٩٦) فالمعتزلة كانوا من أوائل الفرق الكلامية التي جازمت باستحالة الرؤية ، سواء اكان ذلك في الدنيا أم في الآخرة ، وفي ذلك يقول صاحب الملل والنحل ((وانفقوا - اي المعتزلة - على نفي رؤية الله تعالى بالابصار في دار القرار ونفي التشبيه عنه من كل وجه جهةً ومكاناً وصورةً وجسماً وتحيراً وانتقالاً وزوالاً وتغييراً وتأثراً وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها ، وسموا هذا النمط توحيداً)) (الشهرستاني ، ٢٠١٣ ، ١٢٥) اذ يقول القاضي عبد الجبار ، وهو أشهر من ضمن الأصول المعتزلية في مؤلف ، ((انه ليس بجسم ولا عرض ولا يجوز عليه ما يجوز على الاجسام والاعراض من المجاورة والحلول وغير ذلك من الصعود والهبوط والارتفاع والانحدار والانتقال من مكان الى مكان ، ٠٠٠٠ لا يرى بالابصار ولا يُدرك بشيء من الحواس)) (القاضي ، ١٩٩٦ ، ٦٦) اما ما يتعلق بموضوع الإرادة والقدرة والعلم ، لا يختلف المعتزلة كثيراً عن ما طرحه اوغسطين في هذا الامر ، واقصد بذلك ان هذه الصفات لا تختلف عن الله من حيث الوجود ، فهي ليست زائدة على الذات الإلهية بل هي عين الذات ، ودليلهم على ذلك هو ((انه لو لم يكن قادراً - علي سبيل المثال - فيما لم يزل ، ثم حصل قادراً - أي تحققت قدرة الخلق - لوجب ان يكون قادراً بقدرة محدثة متجددة)) (القاضي ، ١٩٩٦ ، ١٥٥) والحقيقة ان هذا الرأي الذي تشبث به المعتزلة ، كان سبباً رئيسياً لتوجيه سهام النقد لهم من قبل الخصوم وتسميتهم ب(المعطلة) باعتبار ان تثبيت الصفات في الذات الإلهية جعلهم يختلفون عن السلف كما يقول الشهرستاني بقوله ((ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات -

صفات الفعل - والسلف يثبتون سميّ السلف صفاتية ، والمعتزلة معطلة)) (الشهرستاني ، ٢٠١٣ ، ١٦٧) . وقد كانت المعتزلة من قبل ذهب الى هذا الاعتقاد لا لشيء سوى نفي تعدد القدماء ، اذ لو كانت هذه الصفات هي ليست عين ذاته سبحانه لكانت زائدة عليه ولشاركته في القدم ، ((فقالوا هو عالم لذاته ، قادر لذاته ، حي لذاته ، لا يعلم وقدرة وحياء ، هي صفات قديمة ومعانٍ قائمة به ، لأنه لو شاركته الصفات في القدم ، الذي هو اخص الوصف ، لشاركته في الإلهية)) (الشهرستاني ، ٢٠١٣ ، ١٢٥) والقول بذلك ينسحب على موضوع طالما شغل ارباب اللاهوت ، والفلاسفة كذلك ، الا وهو إرادة الخلق التي شكلت نقطة مفصلية ، كانت مدار الاختلاف بين الفرق ، حتى أدت في بعض الأحيان الى تكفير القائلين بها ، وأصل المشكلة نابعة من الزمان الذي بدء به خلق العالم بتلك الإرادة الإلهية القديمة التي هي عين الذات عند المعتزلة ومغايرة لها عند الاشاعرة ، لتبيري بذلك مشكلة لا تقل خطورة عن سابقتها الا وهو مشكلة (المعدوم) او المسمى ، ان صح التعبير ، المغاير للوجود ، وقد ذكرنا سابقاً كيف ادلى اوغسطين بدلوه في شأن المعدوم ، وذهابه الى ان الله كان يعلم منذ الازل بالعالم وخلقه قبل خلقه ، لتكون هذه الفكرة ايضاً قديمة وبالتالي ستكون مساوية لله في القدم ليضطلع المعتزلة بنظرية خاصة - فلسفية اقرب منها للكلامية - حاولوا من خلالها حل المعضلة المترتبة عليها ، والتي كانت سبباً محتملاً باتهامهم التأثير بعلم الأوائل والسابقين على الإسلام ، ذلك الاتهام الذي تبناه شيخ الاشاعرة ورجلهم الأول (أبو الحسن الاشعري) * وكذلك الباحثين العرب المعاصرين (ينظر ، النشار ، ب ت ، ٤٢٧) ان القول بان الصفات هي عين الذات ، ولا صفات زائدة على الذات ، تنطوي على ان الخلق قديم كذلك ، من حيث ان الإرادة ، التي هي عين الذات عند المعتزلة ، قديمة بقدم الاله ، ولتقادي هذه المعضلة ، خرج علينا المعتزلة بنظرية (شيئية المعدوم) أي ان المعدوم شيئاً وليس (لا شيء) ، كما ذهب الى ذلك اهل السلف وكذلك الاشاعرة ، كما يقول بدوي (ينظر ، بدوي ، ١٩٨٤ ، ٧١) وفكرة المعدوم - الموجود - ليست كما تبدو من كونها فكرة سطحية، تجعل من المعدوم كناية عن الحالة التي سبقت وجود الأشياء وحسب، بل أن الذي ذهب المعتزلة إليه في هذا الامر أعرق مما هو بادي ، من حيث أن التشيؤ الذي يتميز به هذا المعدوم، جعل منه ذات طابعاً مرناً قابلاً للتمظهر، فهو - اي المعدوم - شيء مُنح صفة العدم، الذي يكمن في طياته جميع الأشياء القابلة لأن تظهر - تُخلق - للوجود ، وتبدو هذه النظرية قريبة جداً مما طرحه ارسطو من قبل في شأن الوجود بالقوة والوجود بالفعل ، فالمعدوم هنا اقرب ما يكون وجوداً بالقوة قبل ان يخلق الوجود ليتحقق بالفعل ، وهم بذلك كانوا أمناء للمذهب الذي يرى ان الإرادة لم تكن تحوي ذلك الوجود المادي ، والا لكان قديماً آخر ، بل كان معدوماً يحمل ، بالقوة ، صفة الوجود وقد يتبادر الى الاذهان ، ان هذا الطرح المعتزلي في موضوع المعدوم سيؤدي الى القول ان المعدوم ذاته يحمل في طياته صفة القدم كذلك ، وبالتالي سينهار مبدأ التوحيد من أساسه ، وهو ما تلافاه المعتزلة بدليل العلم الذي مفاده ((ان حدود المعدوم - أي صفته - بأنه المعلوم الذي ليس بموجود ولا يلزمنا على هذا ان يكون ثاني القديم عز وجل)) (القاضي ، ١٩٩٦ ، ١٧٦-١٧٧) . مما سبق حاولنا الوقوف على أهم النقاط التي أراد المعتزلة تبينها في ما يتعلق بالاصل الأول من اصولهم ، أي التوحيد ، والذي يقع تحت طائلته موضوع الصفات الذي هو موضوع بحثنا المتواضع هذا ، وكما سبق ان قلنا ، حاولنا فقط الوقوف على ما يمكن ان تتلاقى طروحاتهم مع طروحات القديس اوغسطين في هذا الشأن .

الذاتية

بعد ايراد الآراء المتعلقة بموضوع الصفات عند كل من اوغسطين والمعتزلة ، نجد ان هذه الآراء تكاد تكون متطابقة من حيث ان الاثنين يذهبان الى ان الله لا يمكن رؤيته لا لشيء عرضي او قصوراً من جانب الانسان ، بقدر ما يعد الامر واقع في خانة المحال فاوغسطين والمعتزلة رأوا ان الله ليس شيئاً مدركاً يخضع للمقولات التي تندرج تحتها إمكانية الرؤيا ، والله عندهما غير متصور يسري عليه ما يسري على باقي الأشياء ، فالله وان كان شيئاً الا انه ليس كالأشياء ، واما الصفات السمعية التي وصلتنا عن طريق النصوص المقدسة ، السمع والبصر وباقي الصفات ، فهي تجري مجرى المجاز لا على أساس الحقيقة ، ان يعتمد كل من اوغسطين والمعتزلة على مبدأ التأويل لتفسير تلك الصفات التي وردت في الكتب المقدسة اما الصفات الأخرى كالارادة والقوة والعلم ، فيذهب كليهما على ان هذه الصفات لا تزيد على الذات الإلهية بل هي الذات الإلهية نفسها ، بمعنى آخر ، انه اذا قلت الإرادة الإلهية ، على سبيل المثال ، فانك قلت الله ذاته وليس شيئاً زائداً عليه ، وهذا الامر يسري كذلك على باقي الصفات كالعلم والقوة ، وهذا ما أدى الى انزياح التصور الى رؤية أخرى اشترك فيها ايضاً الاتجاهان ، الا وهي رؤية الخلق المحدث من العدم ، الازلي ، والذي استطاع فيها المعتزلة من الإفلات من المطب الذي كان سيحدث ولثبنت على اثره تهمة تعدد القدماء ، فلقد عالج كل من اوغسطين والمعتزلة مشكلة الخلق بالارادة الإلهية القديمة والتي هي بالنتيجة الله ذاته .

قائمة المصادر والمراجع

- ابن المرتضى ، احمد بن يحيى ، (١٣١٦ هجري) المنية والامل ، تحقيق توما ارندل ، دائرة المعارف النظامية ، حيداباد ، الهند .

مجلة الجامعة العراقية المجلد (٧٥) العدد (٤) آذار (٢٠٢٦)

- أبو ريان ، محمد علي ، (١٩٧٣) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، دار النهضة العربية ، ط٢ ، بيروت .
- الأشعري ، أبو الحسن ، (١٩٩٠) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج ١ ، المكتبة العصرية ، صيدا لبنان .
- الأشعري، ابو الحسن علي بن اسماعيل ، ب ت ، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، المركز العلمي العراقي، المكتبة الفلسفية، ج ٢ .
- اوغسطين ، (١٩٩١) الاعترافات ، ترجمة الخوري يوحنا الحلو ، دار المشرق ، ط٤ ، بيروت .
- اوغسطين ، (٢٠٠٦) مدينة الله ، المجلد الاول ، ترجمة يوحنا الحلو ، دار المشرق ، ط٢ ، بيروت .
- اوغسطين ، (٢٠٠٧) مدينة الله ، المجلد الثاني ، ترجمة يوحنا الحلو ، دار المشرق ، ط٢ ، بيروت .
- بدوي ، عبد الرحمن ، (١٩٧٩) فلسفة العصور الوسطى ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دار القلم بيروت ، ط٣ .
- بدوي ، عبد الرحمن ، (١٩٨٤) موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١ ، بيروت .
- بدوي ، عبد الرحمن ، (١٩٨٤) الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت .
- برهيه ، اميل (١٩٨٨) تاريخ الفلسفة ، ج ٣ العصر الوسيط والنهضة ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، ط٢ ، بيروت .
- البغدادي ، عبد القاهر ، (١٩٨٦) الملل والنحل ، تحقيق وتقديم البير نصري نادر ، دار المشرق ، بيروت .
- الخياط ، ابي الحسين بن عبدالرحيم (١٩٢٥) الانتصار ، تحقيق الدكتور نبيرج ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .
- الراوي ، عبد الستار عز الدين ، (١٩٨٦) ثورة العقل ، دار الشؤون الثقافية ، ط٢ ، بغداد .
- الزيدي ، اياذ مطلق ، (٢٠١٣) النزعة الروحية في الكتاب المقدس ، مراجعة اياذ
- الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم ، (٢٠١٣) الملل والنحل ، تحقيق وتقديم سعيد الغانمي ، منشورات الجمل ، ط١ ، بيروت .
- صبحي ، احمد محمود ، (١٩٨٥) في علم الكلام ، ج ١ ، دار النهضة العربية ، ط٥ ، بيروت .
- الصلاحي ، بيت الحكمة ، ط١ ، بغداد .
- الغزالي ، أبو حامد ، (ب ت) احياء علوم الدين ، ج ١ ، دار احياء الكتب العلمية ، القاهرة .
- الفارابي ، أبو نصر ، (١٩٤٩) إحصاء العلوم ، تحقيق عثمان امين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٢ .
- فردريك ، كوبلستون ، (٢٠١٠) تاريخ الفلسفة ، المجلد الثاني ، ترجمة إسحاق عبيد ، تقديم امام عبدالفتاح امام ، المركز القومي للترجمة ، ط١ ، القاهرة .
- الفقيه ، شبر ، (٢٠٠٩) علم الكلام وتطوره عند العرب ، دار الهادي ، ط١ ، بيروت.
- القاضي ، عبدالجبار ، (١٩٩٦) شرح الأصول الخمسة ، تعليق احمد بن الحسين ، تحقيق عبدالكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، ط٢ ، القاهرة .
- المعتزلي ، ابن ابي الحديد ، (٢٠٠٩) شرح نهج البلاغة ، المجلد الأول ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت .
- المعتزلي ، ابن ابي الحديد ، (٢٠٠٩) شرح نهج البلاغة ، المجلد الثالث ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت .
- النشار ، علي سامي ، (ب ت) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، ج١، دار المعارف، ط٨، القاهرة، .
- هارت ، جورج ، (٢٠١١) المسيحية ، ترجمة توفيق محفوظ ، افاق للنشر والتوزيع ، ط١ ، القاهرة .

قائمة المصادر والمراجع مترجمة باللغة الانكليزية

- Abu Rayyan, Muhammad Ali, (1973) History of Philosophical Thought in Islam, Dar al-Nahda al-Arabiyya, 2nd ed., Beirut.
- al-Ash'ari, Abu al-Hasan Ali ibn Ismail, b.d., Articles on Islamists and the Differences of Worshippers, Iraqi Scientific Center, Philosophical Books, Vol. 2.
- al-Ash'ari, Abu al-Hasan, (1990) Articles on Islamists and the Differences of Worshippers, edited by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Vol. 1, Al-Maktaba al-Asriya, Sidon, Lebanon.
- Al-Faqih, Shabr, (2009) The Science of Kalam and Its Development Among the Arabs, Dar Al-Hadi, 1st ed., Beirut.

- Al-Ghazali, Abu Hamid (n.d.) Revival of the Religious Sciences, Vol. 1, Dar Ihya' al-Kutub al-Ilmiyya, Cairo.
- Al-Farabi, Abu Nasr, (1949) Enumeration of the Sciences, edited by Othman Amin, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 2nd ed.
- Al-Khayyat, Abu al-Husayn ibn Abd al-Rahim (1925) Al-Intisar, edited by Dr. Nieberg, Dar al-Kutub al-Masryia, Cairo.
- Al-Mu'tazili, Ibn Abi Al-Hadid, (2009) Commentary on Nahj Al-Balagha, Volume I, Al-A'lami Foundation, Beirut.
- Al-Mu'tazili, Ibn Abi Al-Hadid, (2009) Explanation of Nahj Al-Balagha, Volume III, Al-A'lami Foundation, Beirut.
- Al-Nashar, Ali Sami, (b.t.), The Emergence of Philosophical Thought in Islam, Vol. 1, Dar Al-Maaref, 8th ed., Cairo.
- Al-Qadi, Abdul-Jabbar, (1996) Explanation of the Five Fundamentals, commented by Ahmad ibn Al-Hussein, edited by Abdul-Karim Othman, Wahba Library, 2nd ed., Cairo.
- Al-Rawi, Abd al-Sattar Izz al-Din, (1986) The Revolution of the Mind, Dar al-Shu'un al-Thaqafiyah, 2nd ed., Baghdad.
- Al-Salahi, Bayt al-Hikma, 1st ed., Baghdad.
- Al-Shahrastani, Muhammad ibn Abd al-Karim, (2013) Religions and Sects, edited and introduced by Saeed al-Ghanimi, Jamal Publications, 1st ed., Beirut.
- Al-Zaidi, Ayad Mutlaq, (2013) The Spiritual Tendency in the Holy Bible, reviewed by Ayad
- Augustine, (1991) Confessions, translated by Father Youhanna al-Helou, Dar al-Mashreq, 4th ed., Beirut.
- Augustine, (2006) The City of God, Volume 1, translated by Youhanna al-Helou, Dar al-Mashreq, 2nd ed., Beirut. Augustine, (2007) The City of God, Volume II, translated by Youhanna al-Helou, Dar al-Mashreq, 2nd ed., Beirut.
- Badawi, Abdul Rahman, (1979) Medieval Philosophy, Publications Agency, Kuwait, Dar al-Qalam, Beirut, 3rd ed.
- Badawi, Abdul Rahman, (1984) Encyclopedia of Philosophy, Arab Institution for Studies and Publishing, 1st ed., Beirut.
- Badawi, Abdul Rahman, (1984) The Philosophical Encyclopedia, Arab Institution for Studies and Publishing, 1st ed., Beirut.
- Baghdadi, Abdul Qaher, (1986) Religions and Sects, edited and introduced by Albert Nasri Nader, Dar al-Mashreq, Beirut.
- Berhier, Emile (1988) History of Philosophy, Vol. 3: The Middle Ages and the Renaissance, translated by George Tarabishi, Dar al-Tali'ah, 2nd ed., Beirut.
- Frederick Copleston, (2010) History of Philosophy, Volume II, translated by Ishaq Ubaid, introduced by Imam Abdel-Fattah Imam, National Center for Translation, 1st ed., Cairo.
- Hart, George, (2011), Christianity, translated by Tawfiq Mahfouz, Afak Publishing and Distribution, 1st ed., Cairo.
- Ibn al-Murtada, Ahmad ibn Yahya, (1316 AH) Al-Munyah wa al-Amal, edited by Thomas Arnold, The Nizamiyah Encyclopedia, Hyderabad, India.
- Subhi, Ahmad Mahmoud, (1985) In Theology, Vol. 1, Dar al-Nahda al-Arabiyya, 5th ed., Beirut.

هوامش البحث

* - لاهوتي وفيلسوف مسيحي وأحد كبار آباء الكنيسة الكاثوليكية من أب وثني وأم مسيحية ، ولد في تاغشت (شرق الجزائر) سنة ٣٥٤ م وتوفي في مدينة بونة (غرب تونس) سنة ٤٣٠ م اعتنق المانوية في شبابه الى أن سافر الى ميلانو (شمال إيطاليا) لتعليم الخطابة ليتتصر هناك على يد القديس امبروزيوس ، ويصبح احد أشهر دعاة المسيحية في العالم ، أشهر اعماله كتاب (مدينة الله) و (الاعترافات) (ينظر ، بدوي ، ١٩٨٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ -)

** - المعتزلة أو الاعتزال هو اسم اطلق على مدرسة كلامية إسلامية شيدها واصل بن عطاء في البصرة وأقامت بناءها الكلامي من خلال الأصول الخمسة - ١-التوحيد ٢- العدل ٣- والمنزلة بين المنزلتين ٤ - والوعد والوعيد ٥ - والامر بالمعروف والنهي عن المنكر - وهذه الأصول هي التي حددت شخصيتها كفرقة كلامية لها آرائها المميزة ومعتقداتها المستنيرة بالعقل والفلسفة . (ينظر ، الراوي ، ١٩٨٦ ، ٣٠)

*- يرى الدكتور احمد محمود صبحي ان الدين المسيحي لم يعاني الامرين في دعوته للنصرانية كما عاناها الدين الإسلامي في دعوته ، مبرراً ذلك بأن ((الإسلام قد انتشر في اقطار حافلة بثتى الديانات السماوية = أهل الكتاب ومن لهم شبهة كتاب ، وليست حال الإسلام في ذلك حال المسيحية حين انتشرت في اوربا اذ لم تصادف غير اليهودية ووثنية ساذجة)) (صبحي ، ١٩٨٥ ، ٣٩) ولكننا نرى ان الامر بالنسبة للمسيحية وانتشارها ليس بهذه السهولة ، فقد صادف الدين المسيحي في بداية دعوته ، فضلاً عن اليهودية ، اديان ومذاهب فلسفية اثبتت وجودها في تاريخ الفكر الإنساني ، نذكر منها الديانة المانوية التي كانت تظاهي المسيحية في انتشارها ، والتي كان صاحبنا (اوغسطين) احد معتقياها ، كذلك الفلسفات الابيقورية والرواقية والافلاطونية المحدثه التي لا ينكر احد ثقلها في تلك الفترة من تاريخ الفلسفة .

* - يتفق معظم الباحثون على ان هذه المشكلة (فاعل الكبيرة) تعد الخطوة الأولى التي على اثرها بدأ علم الكلام بالظهور ، بشكل علني ، على الساحة الفكرية في الإسلام ، والتي تعد البيان الرسمي لتأسيس فرقة المعتزلة ، والمشكلة قد أثرت أول الامر من قبل الخوارج الذين عدوا فاعل الكبيرة كافر مخلد في النار ووجوب قتله ، لتظهر في مقابل هذا الرأي رأي مخالف يرى بان فاعل الكبيرة مؤمن وأمره مرجو الى الله ، يُعرف هؤلاء بالمرجئة ، لينبزي كل من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد بالرأي الشهير القائل بالمنزلة بين المنزلتين والتي ستعد من بعد الأصل الثالث من الأصول الخمسة .

* - تعد المشكلة التي اثارها آريوس (القسيس والكاهن المصري المولود في ليبيا عام ٢٥٦م) من اخطر المشاكل التي واجهت الدين المسيحي في قرونه الاولى، وتتمثل هذه المشكلة بالرأي الذي تبناه القديس آريوس السكندري والمتعلق بطبيعة المسيح ، حيث ذهب آريوس الى ((وحدانية الله وإنسانية المسيح)) (صبحي ، ١٩٨٥ ، ٥٢) وان المسيح وان كان - ابن الله - ((لكن بشرط الإقرار بأنه مخلوق من الله وبأنه اول خلأته ، لكن بدون ان يكون ازلياً أو مشاركاً للاب في ازليته لأن الله هو مبدأه) (برهيه ، ١٩٨٨ ، ٩) ونتيجة لانتشار وتبني هذا الرأي من قبل العديد من الكنائس في العالم ، استدعى الامر الى انعقاد المجمع المسكوني الخاص برؤساء الكنائس بأمر من الامبراطور قسطنطين الأول في مدينة أفسوس (غرب تركيا حالياً) الذي عُرف بمجمع نيقيا ، والذي على اثره خرج المجمع ببيان مهم عد فيه القديس آريوس مبتدعاً ، وان ما جاء به من آراء تعد (هرطقة) .

* - انقسم فلاسفة العصر الوسيط الى فريقين رئيسيين ، هما الواقعي والاسمي ، والواقعي يمثل اتباع افلاطون الذي يرى ان للكليات وجوداً فعلياً (واقعياً) بينما يرى الاسميون (اتباع ارسطو) ان هذه الصور مجرد أسماء ، تطلق حتى تتدرج تحتها الجزئيات ، كذلك ينقسم فلاسفة ذلك العصر في أولية كل من (العقل والايمان) على بعضهما ، فهناك من يقدم الايمان على العقل ، ويأتي القديس اوغسطين في مقدمة هؤلاء بعبارته الشهيرة (أمن كي اتعقل) وتبعه في ذلك جملة من الفلاسفة ، بينما يرى الفريق الاخر بضرورة التعقل قبل الايمان ويعد القديس توما الاكوييني خير من يمثل هذا الاتجاه .

** - تقوم الديانة المسيحية الحالية ، على اختلاف مرجعياتها ، على قاعدة ثابتة هي الاقانيم الثلاثة المقدسة ، والتي تشمل الأب - الله - والابن - السيد المسيح - وروح القدس - الملاك المكلف بالبشارة .

* - وفي مورد آخر من اعترافاته يشير اوغسطين الى ذلك فيقول ((أيها الرب ، يا من لا يتغير بتغير الحوال ، بل يثبت أبداً ودوماً ، أيها القدوس القدوس القدوس ، الرب الإلهي الكلي القدرة ، يا من في البدء المنبثق منك وبحكمتك المولودة في جوهرك قد خلقت من العدم)) (اوغسطين ، ١٩٩١ ، ٢٦٩)

** - القضايا الثلاثة التي كُفر بها الغزالي الفلاسفة - المشائين منهم بالذات - في مؤلفه الأشهر (تهافت الفلاسفة) هي ١- القول بقدم العالم ٢- القول باستحالة بعث الأجساد ٣- القول بان الله يعلم الكليات دون الجزئيات .

- * - ان تناولنا لموضوع الصفات الإلهية عند المعتزلة اقتصر على تلك الفقرات التي تتواءم الى حدٍ ما ، مع ما طرحه اوغسطين في هذا الشأن ، فالآراء الاوغسطينية في موضوع الصفات لم تكن ذات مساحة معتبرة اذا ما قارناها بالمساحة الواسعة لهذا الموضوع عند جماعة المعتزلة ، لذلك لم نتوسع في طرحنا لهذا الامر في بحثنا هذا ، الا بالقدر الذي ينسجم مع الطرح الاوغسطيني .
- * - يقول ابن ابي الحديد المعتزلي ((فإن المعتزلة ، الذين هم اهل التوحيد والعدل ، وارباب النظر ومنهم تعلم الناس هذا الفن ، تلامذته واصحابه - أي الامام علي - لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ ابي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية ، وأبو هاشم تلميذ ابيه وابوه تلميذه عليه السلام)) (المعتزلي ، ٢٠٠٩ ، ٢٣) والى ذلك يذهب صاحب كتاب (المنية والامل) من قبل ، اذ يقول ((وسند المعتزلة لمذهبهم أوضح من الفلق ، اذ يتصل الى واصل وعمره اتصالاً ظاهراً شاهراً وهما اخذا عن محمد بن علي بن ابي طالب وابنه ابي هاشم عبد الله)) (ابن المرتضى ، ١٣١٦ ، ٥) لكن ادعائهم هذا اصطدم برأي مخالف من أشهر خصومهم - الاشاعرة - وذلك على لسان منظرهم الشهير (البغدادي) الذي يقول في معرض نقدهم ((فزعموا - أي المعتزلة - ان واصل قد صحب محمد بن علي بن ابي طالب وعبدالله بن علي وأخذ عنهما مقالته ٠٠٠٠ وهذه خرافات امانتهم في الغرور)) (البغدادي ، ١٩٨٦ ، ٨٤) .
- * - يذهب الاشعري في كتابه الأشهر (مقالات الإسلاميين) الى ان شيخ المعتزلة ، أي العلاف ، وهو عميد المعتزلة وملهمهم الأكبر ، قد تأثر في آرائه الكلامية ، بفضل عملة الترجمة التي وصلت أوجها في عصر العلاف ، بالفلسفة اليونانية ، لا سيما فيما يتعلق بموضوع الصفات التي نحن بصددنا (ينظر ، الاشعري ، ب ت ، ١٦٨)